المحاضرة الثالثة : الإتجاه الرومنطيقي في الفن (شيلر نموذجا)

تعتبر المدرسة الرومنطيقية احدى المدارس الهامة التي اهتمت بالجانب الفني بجميع انواعه وصوره الشعر والرسم وغيرها ولقد كان لرواد هذه المدرسة على غرار فريديريك شيلر وغوته أثرا كبيرا في الدراسات الفنية من خلال تفسيرهم لعملية الابداع فيا ترى ما هو موقع المدرسة الرومنطيقية من الفن ؟

أـ فريديريك شيلر :

تعتبر فلسفة شيلر الجمالية قريبة جدا من كتابات كانط وغوته من خلال عبقريتها وكتاباتها الشعرية حيث جعلت من القيمة الاخلاقية طريق للإبداع والخلق ودارت كل أعمال شيلر حول التربية الجمالية للإنسان أي اهتمت بالجانب الانساني و أفعاله التربوية فما هي الأفكار الجمالية والفنية عند فريديريك شيلر ؟

ب ـ مناهج شيلر في علم الجمال / لقد اتبع شيلر ثلاث مناهج في علم الجمال وهي قاعدة الاستيطان ، القاعدة الكانطية و القاعدة الترانستدنتالية

1 ـ قاعدة الاستيطان / يعتبر شيلر أن الذات هي المصدر الذي يستقي منه الاحساس بالجمال ، فهي أيضا مصدر للحكم الجمالي هذه الذات قادرة على أن تنوب عن الجنس البشري بأكمله فالحكم الجمالي عند الانسان يصدر وفقا لقوانين يكون الانسان مؤهل لها من حيث أنه روح عاقل فالفرد عندما يشرع لنفسه كأنما يشرع للناس جميعا .[1]

فالجمال بهذا الطرح هو كامنا فينا فهو ليس موضوعا لخبرة بعدية بل هو مقولة قبلية[2]

2 ـ القاعدة الكانطية /

---

[1] فريديريك شيلر في التربية الجمالية ، ترجمة وفاء ابراهيم ، الهيئة المصرية للكتاب ، دط ، 1991 ، ص 30

[2] المصدر نفسه ، ص 31

لقد كان لتأثير كانط على شكسبير و ذلك باعتماده على المبادئ الكانطية في دراسة الفعل الجمالي من بينها :

ـ سهر الفرد بدايته على نحو من شأنه أن يجعل منه ممثلا نائبا عن الانسانية .

ـ الاستيطيقا في نقد ملكة الحكم هي جسر لعبور الهوة بين العقل النظري والعقل العلمي على نحو ما تحدد في نقد العقل العلمي[3]

3ـ القاعدة الترانسندنتالية/

تقوم هذه القاعدة على خطوتين رئيسيتين وهما

الاولى : أن نسعى الى اكتشاف المطلق والدائم في تلك المظاهر أو التجليات الفردية و المتغيرة للموجودات البشرية

الثانية : أن نسعى عن طريق نفي واستبعاد سائر العوائق العارضة الى الامساك بالشروط التي لا غنى عنها لوجود الموجودات البشرية[4]

على ضوء هذين الخطوتين ، فان معرفة الجمال لا يكون الا بمغادرة الواقع ، والبحث عنه في عالم العقل (العالم الذاتي الباطني)

يقول شيلر " اذا ما نحن ذهبنا نبحث في الحياة الواقعية عن ذلك الجمال الذي نتحدث عنه الان . فان الجمال الذي تنسجم معه فعلا ... الذي نلتقي به فعلا ، ولكن خلال أنموذج الجمال الأمثل الذي يقرره العقل . "[5]

ان الجمال الحق عند شيلر فهو الذي يستند وجوده من عالم الفكر حيث التوازن الكلي للملكات تحققه ملكة اللعب ، وفيه ليس ثمة مجال للقسمة او للتجزئة الحسية و العقلية أو يعصف بهما) ، بل ان الجمال عالم الفكر يتأسس على وحدة العطف و العصف معا .[6]

---

[3] وفاء محمد ابراهيم : المصدر السابق ، ص 23
[4] المصدر نفسه ، ص : 23
[5] فريديريك ، شيلر ، ت ، وفاء محمد ابراهيم : المصدر السابق ، ص : 24
[6] المصدر نفسه ، ص : 25

مدار الإستيطيقا عند شيلر/

يرى شيلر أن علم الجمال واسطة العقد بين التجزئة والعقل ، أو بين المادة والصورة أو بين الحسي و الفكر ، ان التوفيق بين المتناقضات من حس وفكر أو مادة أو صورة هو النقطة الدقيقة التي ينصب اليها كل السؤال المتعلق بالجمال[7]

اذن فالاسنيطيقا تدور حول التوفيق بين العقل و الحس يجمعهما ويتجاوزهما وهذا العمل هو محصلة لمنهج جدلي

تعريف الجمالعند شيلر/

" الجمال هو تشابه ظاهري أو صورة ظاهرة مع شكل الارادة الحرة أو الحرية "[8]

ان هذا التعريف للجمال تغير وذلك باعتماد شيلر تعريفا اخر ربطه بالعقل والتأمل والحق " فهو يوصي الفنان بأن عليه أن يتمسك بأهداف الحق الظافر بحيث يبقى هذا الحق في سويداء القلب المتواضع ثم عليه أن يبرزه من أعطاف ذاته في صورة جمال "[9]

" وان الجمال هو الصورة الظاهرة للحق ،من حيث أن الحق هو المبدأ الحيوي لكل شيء ن بما يجعل من الجمال شكلا حيا أو صورة لشيء يعيش في احساسنا "[10]

فالجمال بهذا المعنى مبدأ حيوي مرتبط بالباطن وهو صورة من صور الحق داخل احساسنا أي مرتبط بالحياة الداخلية للفنان وهذا ان دل انما يدل على دور الاستيطان في العملية الفنية والذوق الجمالي ودوره في اصدار الحكم الجمالي أيضا . فتعريف الجمال عند شيلر بعدما كان مرتبط بالإدارة الحرة أضفاه له الإحساس الباطني الداخلي لأن الادارة لا بد أن ترتبط بما هو داخل.

الفن عند شيلر/

---

[7] المصدر نفسه ، ص : 37
[8] المصدر نفسه ، ص : 41
[9] المصدر نفسه ، ص : 41
[10] فريديريك شيلر ، ت ، وفاء محمد ابراهيم ، المصدر السابق ، ص : 42

يرى شيلر أن هو الفن وله و أن الفن والشكل وحدة واحدة ويرى أن الحواس القادرة على ادراك الشكل هي الحواس الجمالية وهي السمع والبصر أما الحواس الاخرى ويسميها شيلر حواس المماسة المباشرة فهي ليست حواسا مساهمة في الفن والمتعة الجمالية الا لدى البدائيين فقط[11]

ويتعامل شيلر مع الشكل والصورة على أنه موضوع مطلق للمحاكاة وكل الفنون عند شيلر هي فنون محاكاة بمعنى محاكاة الصور المطلقة

الرمز في الفن عند شيلر/

ـ الرمز في الفن لا بد ان يتميز بشمول التعبير عن الوجود الانساني في كليته الجامعة

ـ أن الرمز لابد أن يكون تعبير مكثفا عن خبرة

ـ الرمز في الفن مضمون واقعي مستمد من العنصر المادي او الحسي في الوجود الإنساني
ـ الرمز هو الصياغة المكثفة لمعادلة التوازن المصقول لقوى الانسان الحسية العقلية[12]

ان الفن يبعث في الانسان لذة بأمر أساسي وهو الفاعلية ممارسة اللعب أو التأليف الجمالي انما يحقق تحرير المرء من واقع الأشياء التي تشكلها الاشياء لذاتها بذاتها في ظل قوانين الضرورة الطبيعية ، ثم يستفيد المرء من هذا التحرير بان يباشر فاعليته الذاتية في أن يصنع للأشياء من خلال الصورة أو الشكل واقعا جديدا هو الواقع الفني ويكون ادراك المرء لفاعليته في هذا الخلق الجديد مبعثا لسروره و غبطته "[13]

ان الفن عند شيلر يحقق لذة تحرر من واقع الأشياء و تجلب للإنسان السعادة فلا تكون اللذة الا من خلال الشكل والذات لا تحقق اللذة الا من خلال ما تعكسه على الاشياء من فاعلية وخلق

اللعب في الفن عند شيلر/

---

[11] المصدر نفسه ، ص : 60
[12] المصدر نفسه ، ص : 63
[13] فريديريك شيلر ، ت ، وفاء محمد ابراهيم ، المصدر السابق ، ص : 64

ان تحقيق الائتلاف والتوازن بين القوة الحسية والقوة العقلية الباطنية هو ما يسميه شيلر اللعب " والحقيقة أن اللعب عند شيلر هو تلاعب تأليفي بين الملكات انه معزوفة متناغمة على أوتار الملكات جميعا ... فاللعب عند شيلر هو تحويل المختلف الى مؤتلف او خلع الوحدة على الشتات أو تخليد العابر "[14]

ان ملكة اللعب تقضي على التعارض بين الحسي الواقعي والعقلي الباطني ويهدف اللعب الى :

ـ ان يهدف الى انتفاء الزمن ، ولكن في الزمن ذاته

ـ العمل على التوفيق بين الضرورة والوجود المطلق الثابت

ـ التوفيق بين التنوع والوحدة

ـ تحرير الانسان من ضغط الضرورة المادية والمعنوية الأخلاقية

ـ التأليف بين الحس والعقل

ـ جعل الاحساسات والانفعالات على توافق مع الأفكار العقلية[15]

وفق نظرية اللعب فان الابداع الفني عند شيلر " هو عمل ناشط لإنتاج الجميل و الأصل في هذا الانتاج هو ما ينشأ عن تفاعل القوتين الدافعتين الحسية والصورية من لعب محقق لمعادلة التوازن بين الواقع والضرورة "[16]

فالإبداع اذن هو التغلب على المادة الأصلية وتحويلها الى مادة العمل الفني الذي يريده الفنان وبالتالي فهو مطالب بالتخلي عن ذاتيته بل يستعملها كمرحلة أولية في عملية الابداع والتعريف الجامع الذي خرج به شيلر عن الابداع هو " روح الهي في الذات البشرية ، به يحول الانسان الممكن الى واقع و الواقع الى ضرورة فالإبداع نشاط تلقائي يتحول من خلاله الممكن الى واقع

---

[14] المصدر نفسه ، ص : 57

[15] فريديريك شيلر ، ت ، وفاء محمد ابراهيم ، المصدر السابق ، ص : 58

[16] المصدر نفسه ، ص 59

و للفن وظائف عديدة نذكر منها : الحرية و التوازن الكلي للنفس والدور الحضاري الذي يلعبه

الفن الجيد والفنان الجيد

أ ـ الفن الجيد / 1ـ ان الفن الجيد عند شيلر خلف حرية في نفس الفرد

2 ـ الفن الجيد لا يكون مرهون بمادة الفن أو بنوعية المعرفة التي يقدمها للمتذوق

بل يصبح الجمال الحقيقي للفن رهنا بالشكل لفظه

3 ـ ازالة الفوارق بين الفنون ، فالفن الجيد يزيل كل الفوارق مع كل الفنون

4 ـ تحقيق الحرية المثالية[17]

خصائص الفن الجيد/

1 ـ اغتراب الفنان عن عصره حتى لا يؤثر عصره فيه ويؤثر هو في عصره

2 ـ ان يترفع الفنان عن الفساد ويجعل ذاته مرتفعة عن كل ما هو مادي

3 ـ عدم الوقوع في دائرة الغير مشروع (مقولات المطلق)

4 ـ توجيه العالم نحو الخير

5 ـ أن يكون على ثقة من أنموذج مثالي يخلعه من ذاته على مادة فنه

6 ـ القدرة على التغلب على مادة العمل الواقعية والتاريخية واحالتها على مادة فنية يخلع عليها شكلا[18]

---

[17] المصدر نفسه ، ص : 93

[18] وفاء محمد ابراهيم ، المصدر السابق ، ص : 93 -94